

اشترى أرض متحفه بثمان تمثال للأهرام آدم حنين كاهن الفن المصري

سارة رمضان..



مع مدرس التاريخ كان يتجول في المتحف المصري في عمر الثامنة، ولكنه فجأة وقف صامتا كالمجنون يحدق عله يفهم شيئا عن تمثال إخناتون المبهر بضخامته والذي يعد خير شاهد علي البراعة والدقة الفنية وبصيرة المبدع المصري القديم.. فكان الملم له بأن يممسك صلصاله محاولا تقليد تلك القطعة الفنية المبهرة.. لتخيم علي قلبه الحيرة التي تقوده إلي أن يختلي بأفكاره ليجد نفسه سقط في متاهة ولدت عنده الكثير والكثير من الأسئلة ظلت تورقه وهو يبحث لها عن إجابة لم يجدها، حتي شعر بأنه كالغريق ينتظر القشة التي ستنقذه من بحر الظلمات.. لكنه لم يستسلم حتي وجد الإجابات حين التحق بكلية الفنون الجميلة.. لم يكن يعرف أن تلك الأسئلة التي يبحث عن إجاباتها أمام ذلك الفن العميق هي الطريق الذي سيشكل مستقبله.. هكذا بدأ الفنان والنحات الكبير آدم حنين حياته الفنية مبكرا وتشرب الفن المصري الفرعوني منذ الطفولة.. عاش معه وله.. واقع مليء بالأحجار والجرانيت والبازلت والخشب والفخار فرض نفسه عليه حد الطغيان.. ليكتب من خلاله مسيرة خصبة ويخلص له.. فأصبح الكاهن في محراب الفن، أو بمعنى أدق في محراب النحت فور وصولنا أمام باب فيلته بالحرانية بمنطقة سقارة.. حرص علي استقبالنا وقبل أن يبدأ حديثه أشار لكل جوانب بيته وقال: زالأبواب مفتوحة لكم سواء بالحديقة التي تحمل بعضا من أعماله

أو متحفني أو مرسمي, وبعد الزيارة سأنتظركم لتحدث عن حركة الفن المتصلة ومراحل الفن التي تعكس أفكارى وكيونيتي الإنسانية.. فبدأنا بالتجول أولاً بحديقته المتحفية التي تحتوي علي بعض من قطعه الإبداعية ثم إلي متحفه الذي يتكون من ثلاثة طوابق كل طابق يحمل جزءاً من تاريخه وأفكاره وعمره سواء كانت قطعاً نحتية أو لوحات فنية.. كل واحدة لا تشبه الأخرى فلكل منها روحها ولغتها لتوضح جزءاً من عقل وخبرة ولدت علي ضفاف النيل وترعرعت بباريس. ونضجت بعد أن اكتشف الميزان الذي يقيس عليه رؤيته الفنية, ذلك الميزان هو الفن الفرعوني بعد أن أنهينا جولتنا توجهاً إلي غرفة شيخ النحاتين حيث كان ينتظرنا وهو يجلس علي أريكته المفروشة ببعض المفارش اليدوية, وبدأ معنا حوار هادئ فيما رأيناه.. فكانت البداية من الجانب الخاص بالشاعر والفنان صلاح جاهين رفيق فنه بل إنه جزء من تاريخ متحفه قبل وفاته, فابتسم حين وشرد للحظة وكأنه يسترجع لحظاته مع جاهين حينما كانا يحلمان بهذا المتحف.. ودأب جاهين علي ترتيب بعض المقتنيات بنفسه ووضع بعض الأفكار والمقترحات لتصميمه وحماية تاريخ حنين الفني حيث كانت أحلامهما في البداية إقامة المتحف بالأقصر حيث بداية حنين الفنية إلي أن استقر واشتري قطعة أرض بالحرانية بألفي جنيه, ثم اجتذب حنين مجلة يضعها أمامه وقلب في صفحاتها ليجد تمثال النسر حيث يظهر أعلى التمثال مبني مؤسسة الأهرام, وبدأ يسترسل ويقول: حينما انتهيت من تصميم هذا التمثال الذي طلبه مني الأستاذ محمد حسنين هيكل حصلت علي مبلغ ألفي جنيه الذي اشتريت به قطعة الأرض تلك, ولكنني وقتها لم أكن لأفكر بأنني سأقيم عليها متحفني حيث كان الهدف من قطعة الأرض هو بناء بيت لي في مكان هادئ وبعيد عن ضجيج القاهرة إلي أن تحول البيت والمرسم إلي جزء مني فقررت أن أقوم متحفني بنفس المكان الذي قضيت حياتي بمصر به

أعمال شيخ النحاتين تؤكد علي التوازن والتناغم بين عناصر الثقل والخفة ما بين الأعمال ذات الأحجام الكبيرة والصغيرة مما يقود متابعيه لإعادة القراءة والتأمل.. وحينما سألته عن تلك الحالة الإبداعية التي تقوده وتحفزه لدخول مرسمه ليبدأ في اختيار الشكل واللوحة والمضمون الذي يعبر به عما يدور في خلدته قال: نادراً ما أستيقظ ولدي فكرة نحتية, فلا أتذكر أنني دخلت معلمي مرة لأقوم بنحت تمثال العامل أو الأمومة أو الحيوان مثلاً, ولكنني عادة أستيقظ من نومي وأتوجه إلي مرسمي مباشرة دون أن أقرر ماذا سأقوم به, وأبدأ في ترتيب المرسم وقراءة بعض الأوراق وأثناء ذلك تتفجر شرارة الإبداع لأتوجه مباشرة إلي العمل, حيث إن ثمة شعوراً معيناً ينتابني ويؤثر علي جسدي وفكري ليوجهني للبداية ثم يكتمل وأنا أقوم بالعمل في القطعة النحتية, إلي أن يحدث الامتزاج بين روحي وذكرياتي وأفكاري وتلك القطعة التي أعمل بها وأظل في تلك الحالة حتي أنتهي من العمل, وطول حياتي لا أعرف سوي العمل الدائم والطويل الشاق والممتع في آن واحد, والذي قد يصل إلي 15 ساعة في اليوم, لتكون أعمالني جزءاً مني لأنها سلسلة وحلقة مركبة

التقطت طرف الحديث وسألته: هل تلك الحالة تنطبق علي القطع النحتية فقط أم أنها أيضاً تتماثل مع اللوحات الفنية واستخدامك أحياناً للأحبار والفحم والأصباغ الطبيعية علي ورق البردي؟, فقال شيخ النحاتين: الحالة واحدة ولكن الإحساس والاحتياج مختلف فالنحت مختلف ومرهق حيث إنني لا أستطيع أن أعمل سوي 4 أعمال نحتية فقط في السنة علي الأكثر, وأستغل باقي طاقتي ووقتي بالرسم, حيث إن مساحة رسم الصورة في الفراغ تعطيك رؤية وزاوية مختلفة وقد تعطيك حلولاً سريعة حتي إنني أطلق عليه معمل النحت, فالرسم معمل للتفكير والتدريب وينقلك لمفاهيم أكبر فتذهب للنحت بشجاعة ولديك فكرة ودراسة واستعداد للنحت من خلال الرسم

في كلتا الحالتين الفنييتين كان تأثير الفن والحضارة المصرية الفرعونية يسيطر علي كل قطعة فنية لحنين بل إنه صنع من خلاله فلسفة مختلفة بلورتها الخبرة العملية.. بل إنه تبني من خلاله وجهة نظر خاصة ومختلفة.. ومع رشقة من كوب الشاي قال شيخ النحاتين: طول عمري مهتم

بالحجم والتمثال له وجود خاص في حياتي عكس القلم والخط، ولاحظت أن هذا أيضا أمر مهم عند المصريين القدماء لأنهم يحبون النحت جدا وهذا يظهر في مسلاتهم وتمائيلهم الشاهقة.. وهذا ما لفت انتباهي منذ الصغر في زيارتي الأولى للمتحف المصري حيث وجدت حضارة كاملة وجميلة لا مثيل لها في بيتك، فكانت أول نقرة في عقلي الفني والمذهبي لأنأثر بالحضارة المصرية التي تحددت الزمان والمناخ والمكان، ومجهود يتحدى ثقافة العالم، لتمثل الحضارة المصرية القديمة بالنسبة لي الميزان الذي أقيس وأحكم من خلاله علي كل شيء حولي بل أصبحت أحب كل شيء يقترب من الحضارة المصرية.. فحضارتي هي هويتي وخلودي الحقيقي الذي حماني من الانصواء تحت راية أو مذهب فني بعينه، وأصبح هدفي أن أسير في هذا الطريق، ولكنني لست مصريا قديما فأنا مصري حديث.. اتصلت بالحضارة الأوروبية التي وسعت من رؤيتي للتطور الحضاري الجديد والمهم وأصبحت مطلعا علي الفن الغربي ليحدث المزج بالقديم والجديد حتي لا أقع في فخ وقع فيه بعض الفنانين

فقاطعت.. هل تقصد مثلا الفخ الذي وقع فيه الفنان محمود مختار رائد الفن الحديث في مصر وتأثره بالفن الغربي وامتزاجه مع الروح المصرية ليخرج بفن جميل يفتقد الشكل المصري الحقيقي كما في تمثال الفلاحة في تمثال نهضة مصر.. فاستكمل حديثه وقال: الفنان الكبير محمود مختار تأثر بالحضارة الرومانية والأبوك فعلا ولكنه أصر علي أن يتجه بكل خبراته وإمكاناته اتجاهها مصريا ويمكن إدراك ذلك في تمثال نهضة مصر والنحت البارز في تمثال سعد زغلول، ففي تمثال نهضة مصر علي الأخص كان ينظر مختار للحالة الجمالية للمرأة المصرية وهي تملأ الماء، أما بالنسبة لي فالأمر مختلف حيث إنني أنزل للفن بنظرة اشتراكية، فمثلا المرأة أنظر لها في حالة الجهد والتعب وهي تعمل وتساعد وتشارك في الكفاح والعمل، فالشخصية المصرية هي في الأصل أكثر اهتماماتي، وسأقولك زلي شغلانة غريبةس فبعد أن انتهيت من الكلية لم يكن ببالي كيف سأحصل علي أموال من دون النحت فالمهم بالنسبة لي ألا أنشغل عن النحت بأي أمر آخر حتي ولو كان الهدف من أجل الأموال، فالنحت ليس فنا عاديا ولكنه فن عميق ويحتاج ليس إلي عمر واحد وإنما إلي عمرين أو ثلاثة، وهذا درس تعلمته من أصحاب بعض التجارب السابقة الذين لم يظهروا للنور لهذا السبب، لذا قررت ألا أركز في شيء سوي النحت والفكرة التي أرغب في تقديمها

وهذا ما دفعك للسفر إلي الأقصر لتعلم الفن المصري الخالص الموجود هناك من خلال الآثار الخالدة والفن المصري الشعبي الباقي.. قال: صحيح سافرت إلي الأقصر لأدرس الفن المصري وبقايا الفن الشعبي من بيت صغير وأبواب قديمة ومفتاح كالون لباب خشب وبعض الفضلات التي تحمل رائحة الحضارة المصرية من أوان فخارية وأعمال حفرية، ثم بدأت أتأثر بمثل هذه الأشياء وأوثر فيها وأشعر بكل تلابيها، ثم بعدها وصلت لمرحلة التفكير في الخطة المصرية لأستخلص خبرتي وخطتي الفنية الخاصة من خلال تلك المعاشية والتي قادنتني لمتابعة الطبيعة وتغيراتها والنباتات والحيوانات.. فعندما تتعامل مع أي من أنواع النباتات بشكل عادي يختلف عن كونك ترغب في أن تفهمه وترسمه لتتحول معه وتنظر إليه من زوايا مختلفة ومتابعة مراحل نموه.

فقلت له: إذن ما الذي دفعك للسفر والعيش بباريس.. فقال: السفر لباريس كان له واقع مختلف حيث إن وضع مصر في تلك الفترة كان لا يحتاج لفنانين فالبلد كان يحتاج إلي أفعال كبيرة لإنقاذ وطن وإعادة ربيعته بدلا من أن تتساقط أوراقه بفعل احتلال غاشم، لذا قررت السفر عام 1971 لأنني لا أعرف العمل السياسي والبلد لا يحتاج لفنانين، فكانت فرصة بالنسبة لي لأتعرف علي آخر صيحات الفن وتطوراته، وكانت خطتي أن أتوجه بعد باريس إلي المكسيك حيث الفن العقلاني الاشتراكي، ولكن بلد الجن والملائكة خطفتني ولم أترك باريس حيث تعرفت علي كل ألوان الفنون وتعلم الحرية في الفن هناك لدرجة الهوس والاعتلاء فوق الأفكار الاعتيادية مما ساعدني علي كسر التقليدية والقيود التي فرضتها علي نفسي مع الاحتفاظ بروحي المصرية

الأصيلة. استكملت معه تجربة باريس وقلت له: وهناك قابلت وزير الثقافة الأسبق فاروق حسني ليكمل حلمك وتتفق معه علي إقامة السمبوزيوم في مصر, لتحول أسوان من خلال السمبوزيوم إلي قبلة لكل الفنانين من مختلف أنحاء العالم.. ليكمل الآن عامه الـ 19, فكيف تقيم تلك التجربة الآن؟ فابتسم حنين ابتسامه رضاء وقال: يكفي أنه لا يوجد سمبوزيوم في العالم لا يوجد به مصريون, بل إنه أصبح هناك نوع من الوحدة وتطور النحت المصري الذي نشتهر به, والعمل مع الحجر المصري بأسوان التي تشتهر به, الحجر الذي يصنع نوعا من الوحدة ليفرض عليك قوانينه وشكله ولغته وروحه, ليؤكد الآن في عامه الـ 19 علي قوة وتميز النحت المصري علي مستوي العالم.. اختتمت الحديث مع حنين وجملة واحدة تدور وتتكرر خلال حوارنا وهي زلن يكون لدينا ما نحيا من أجله إذا لم نكن علي استعداد أن نموت من أجلهس